فقال ويز ان المسألة ليست مسألة ظن بل مسألة عملية لا بدَّ منها اليوم . فقال جوت سيكون حسبما تريد وارسل من ينقلك الى المستشفى والعملية الساعة الرابعة بعد الظهر ثم خرج هو والدكتور وين فقال لهُ وين وهما خارجان اني اعرف ويز منذ اكثر من عشرين سنة ولم اكن اظن ان فيهِ مثل هذه الشجاعة حتى سلَّم بالعملية

فقال جوت هذه ليست شجاعة بل محبة الربح حتى لا يخسر ٥٠٠ ريال

جاسوس حربي

التجسُّس قبيح لذاتهِ لا يمدح بوجه من الوجوه ولكن رجال الحرب يستحسنونهُ ويعتمدون عليهِ اعتمادهم على عمل الاسلحة وتعليم الجنود . وما دام الناس راضين بالحرب فمن العبث صرفهم عن بعض لوازمها . لا كانت هي ولا كانت تلك اللوازم

الاَّ ان الاعمال التي اسامها واحد وغايتها واحدة يختلف وقعها في النفس باختلاف مواقعها . فاذا قرأنا عن جندي مسك طفلاً وطعنهُ بسكين فقتلهُ اشمأزت نفوسنا واستقبحنا عملهُ كل الاستقباح . ولكن اذا بلغنا ان جنديًّا آخر هجم على خمسين جنديًّا غير هيَّاب ولا وجل فقتلهم كلهم اعجبنا بفعلهِ ومدحناهُ عليهِ وقد يرقَّى الى مصاف الضباط ويعطى نيشانًا على بسالتهِ مع ان الاول انما قتل الطفل لكي لا ينشأ رجلاً وقد يحتمل ان يموت حتف انفهِ قبلما يشب والثاني لم يكتفِ بقتل رجل واحد بل قتل خمسين . ومن هذا القبيل اعمال الجواسيس فان النفس تستقبح بعضها وتستحسن البعض الآخر فاذا علمتَ ان كاتبك الذي تأتمنهُ على اسرارك كان جاسوسًا عليك استهجنتَ عملهُ ولم تغتفرهُ لهُ قط ولكن اذا بلغك انهُ سمع بكيدة تكاد عليك فخاطر بنفسهِ في تجسس اعمال الكائدين لكي يحذرك من الخطر قبل الوقوع فيهِ صار لهُ في نفسك اعظم منزلة . ويقول رجال الحرب والذين في ايديهم مصالح العباد ان جانبًا كبيرًا من التجسس الحربي هو من هذا القبيل . وسواءٌ كان الامر كذلك او لم يكن فاعمال بعض الجواسيس لا تشمئز منها النفوس كما تشمئزُّ من غيرها . ومن هذا القبيل ما كتبهُ ضابط انكليزي اسمهُ الماجور ستورت ستفنس عن نفسهِ في المجلة الانكليزية فقال ان الحكومة الفرنسوية دعتهُ سنة ١٨٩٦ ليذهب الى المانيا ويبحث لها سرًّا عمَّا كانت المانيا تصنعهُ حينئذٍ من المدافع اذ قيل انها اخترعت مدفعًا سريع الانطلاق شديد الفعل . وقد اختارتهُ لذلك لانهُ يحسن الالمانية ولهُ خبرة واسعة في المدافع وفيهِ

شيء من الندم الفرنسوي . وكان قد ضرب في جنوب افريقية وشرقها ودخل بلاد دمارا التابعة لالمانيا ووجد فيها بعض الحجارة الكريمة وبينها حجارة صغيرة من الماس ولقيهُ محرر جريدة وكتب خبر ذلك في جريدته فاخذ خبر هذا الاكتشاف وسيلة للوصول الى بعض طلاَّب الغنى في المانيا ومنهم الى الغرض المقصود بالذات وكان يعرف كثيرين من الالمان في اماكن مختلفة فطلب منهم مكاتيب توصية الى اصدقائهم في المانيا فاتتهُ كلها فتزوَّد بها وسافر الى برلين ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى علم ان معمل كروب شارع في سبك نوع جديد من المدافع وقد اتصل الى علم ذلك على الطريقة التالية

كان يذهب الى التياتر كل ليلة ومتى انتهى التمثيل يدعو بعض الضباط من الالمان الى غرفتهِ ويباسطهم ويقدم لهم الخمور بكرم حاتمي . ودار الحديث مرة على جنوب افريقية وافراط سكانها في الرهان والمقامرة وكان المتكلم من الذين حاربوا معهُ في حرب الزولو فقال لهُ نعم والميل الى المقامرة والمضاربة شائع في كل تلك البلاد وانا كنت اقامر احياناً على عملي الاكيد بضرر المقامرة ولكن لا شيءَ يسلي الانسان مثل اللعب اذا امتزجت فيهِ المهارة بالصدفة . وكان زواره من محبي لعب الورق المعتقدين بانهُ يمكن الجري فيهِ على طريقة علمية فيربح الانسان دائماً فجعلوا يلعبون معهُ وجعل هو يقرض الذين يخسرون منهم ويتساهل في استيفاء ما لهُ . واتفق ان الضابط الذي كان رفيقهُ في حرب الزولو كان مديوناً بمبلغ غير كبير في ذاتهِ ولكنهُ كبير بالنسبة اليهِ واراق ماء وجههِ ليجد من يساعدهُ من اخوانهِ الضباط حتى يوفي دينهُ فلم يجد فقرضهُ مئة وعشرين جنيهاً اوفى بها كل ديونهِ . فلم ينسَ لهُ هذا المعروف وهو الذي اشار اليهِ ليهرب من المانيا كما سيجيء ولولا ذلك لبات في غياهب السجن . وهو الذي بعث اليهِ بخلاصة خطبة للامبراطور في شهر اغسطس الماضي وهي الخطبة التي قال فيها ان الجيش الانكليزي الذي مع الجنرال فرنش جيش صغير حقير

اما الواسطة الكبرى التي استخدمها لارشاد اولئك الضباط فهي اغراؤهم بالاشتراك معهُ في الشركة التي كان عازماً على تأليفها لاستخراج الماس من بلاد دمارا . وبينما كان يتكلم في هذا الموضوع مع واحد منهم قال لهُ هذا « لا اظن ان شركتك تتألف قبلما تجدد مدافعنا كلها وحينئذٍ تنشب الحرب وتصفي حسابنا مع هؤلاء الفرنسويين القرود » وكان ذلك في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٦ .

وكان قد جاءهُ تلغراف من لندن في ١٥ دسمبر يدعوهُ للرجوع حالاً لاشغال ضروري فرجع بطريق هولندا ثم قطع الى فرنسا وقابل الجنرال بلو رئيس اركان الحرب في ١٩

دسمبر . وفي الشهر التالي خصصت الاموال لتجديد المدافع الفرنسوية باعتماد سري فنتج عنها استنباط المدفع ٧٥ . ثم عاد الى المانيا واستنتج من احاديثه مع ضباط الجيش وغيرهم ان المانيا عازمة ان تثير حرباً على فرنسا وتهاجمها بجيش جرار لتهزم الجيش الفرنسوي وترده الى باريس وتستولي على العمارة الفرنسوية وكل ما في فرنسا من النقود اما انكلترا فتبقى على الحياد حينئذٍ لان فرنسا كانت تناظرها وتفاضلها في الاستعمار . وتبقي المانيا في فرنسا ستة فيالق لاجل استيفاء الغرامة الحربية فتعسكر في المكان الذي اقيم فيه معرض باريس وفي الوقت المناسب تحشد هذه الفيالق امام انكلترا على ساحل البحر فتضطر انكلترا الى تعديل الاتفاق الانكليزي الالماني حسب رغبة المانيا . وقد تم هذا التصميم في المانيا في شهر فبراير سنة ١٨٩٧

وبعد قليل صار اصدقاؤهُ الضباط اشد حذراً مما كانوا مع انهم ظلوا يترددون عليهِ ويشربون خمورهُ ويقترضون اموالهُ ويحسبون انهم سيغتنون من شركة الماس التي كان مهتمًّا بتأليفها . ومرَّ بهِ رفيقهُ في حرب الزولو ذات يوم وقال لهُ بلغة الزولو « كولو امبا » اي يا صاح انجُ بحياتك . فادرك ان قد كُشف امرهُ وان الخطر محدق بهِ فعاد الى الفندق وطلب من مديرهِ ان يعدَّ لهُ مائدة لاربعة لانهُ دعا ثلاثة من الضباط للعشاء معهُ تلك الليلة وطلب منهُ ايضاً بعض الالوان المخصوصة من الطعام . ثم صعد الى غرفته ولبس لباس العشاء وقال لمدير الفندق وهو خارج انهُ خارج ليشرب كأس مشروب مع السر جمس كريسون وانهُ يعود للعشاء مع ضيوفهِ نحو الساعة الثامنة لكنهُ سار توًّا الى المحطة العمومية وركب الاكسبرس الى هولندا . وبقي يوجس خيفةً يكشف امرهُ ويقبض عليهِ الى ان دخل بهِ القطار بلاد هولندا فخرج منهُ وهو لا يصدق بالنجاة . اما اكتشاف امرهِ فكان على هذه الصورة : —

كان في لندن جاسوس الماني مغرم بحب الخيل فرأى الماجور ستفنس صاحب هذه القصة راكباً فرساً كريماً من جياد الخيل وطلب ان يبتاعهُ منهُ فلم يتفقا على الثمن لان الفرس لم يكن للماجور ستفنس . ثم لما عاد الى برلين في المرة الاخيرة بحث الجاسوس عن الفرس فقيل لهُ انهُ في المكان الفلاني فذهب وسأل الناس عن صاحبهِ فذكر لهُ اسمًا غير اسم الماجور ستفنس فسألهُ عن الماجور ستفنس فقال لهُ انهُ سافر للبحث عن المدافع . فاوجس من ذلك شرًّا وكتب الى المانيا يحذر اولي الشأن منهُ ويصف اوصافهُ بالتدقيق فوضعت عليهِ العيون والارصاد الى ان حذرهُ صديقهُ الضابط على ما تقدم . ثم حاول الالمان خطفهُ مرتين بعد ذلك مرةً في لندن سنة ١٨٩٨ . ومرة في لياج سنة ١٩١١ . فان كانت هذه القصة صحيحة كما رواها صاحبها فيكون لبعض الجواسيس شأن كبير في مصالح الدول وسياساتها